المبحث الثالث
الإمام أبو الحسن الأشعري

ساهم الإمام أبو الحسن الأشعري بتراثه وأفكاره التي وضعها في كتبه وبواسطة تلاميذه في نشاط المدارس النظامية التي اعتمدت ما وصل إليه من بحوث في عقائد أهل السنة والردود على المعتزلة والمخالفين لأصول أهل السنة والجماعة.

أولاً: اسمه ونسبه وموطنه ومولده ومكانته العلمية:

1- اسمه ونسبه: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول ρ أبي موسى عبد الله بن قيس ابن حضار الأشعري اليماني البصري، وكنيته أبو الحسن [1] فالأشعري من أولاد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه[2].

2- موطنه ومولده: ولد أبو الحسن الأشعري في البصرة، وبعد خروجه على الاعتزال غادرها وسكن بغداد؛ ولهذا يقولون عنه: بصري سكن بغداد [3]، وأما عن مولده فقد اختلف المؤرخون في تحديد ولادة الأشعري: فابن عساكر يذكر عن أبي بكر الوزان رواية مفادها: أنه وُلد سنة ستين ومائتين ثم يؤكد ابن عساكر صحة هذه الرواية بقوله: لا أعلم لقائل هذا القول في تاريخ مولده مخالفاً [4]. وأما ابن خلكان فيرى أن مولد الأشعري كان سنة سبعين ومائتين [5]؛ ولهذا قال الذهبي - رحمه الله -: مولده سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين [6]، والمقريزي يذكر أن مولده كان سنة ست وستين ومائتين، وقيل سنة سبعين [7] ولكن أكثر المصادر التاريخية التي ترجمت للأشعري تذكر أنه ولد سنة ستين ومائة [8].

3- مكانته العلمية وثناء العلماء عليه: كان الأشعري رحمه الله من العلماء الذين حملوا لواء العلم في كل ميادينه وصنوفه، ويعد من العلماء الذين جمعوا بين شتى المعارف والعلوم والفنون [9]. قال الخطيب البغدادي: أبو الحسن الأشعري المتكلم، صاحب التصانيف في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة [10]. وقال الذهبي عنه: العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن.. وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة

(1) سير أعلام النبلاء (86/15).
(2) شعبه العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمتسبين إليه ص 20.
(3) تبيين كذب المفتري ص 36.
(4) تبيين كذب الفتري ص 146.
(5) وفيات الأعيان (307/3).
(6) سير أعلام النبلاء (85/15).
(7) الخطط للمقريزي (307/3).
(8) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص 21.
(9) شعبة العقيدة بين أبي الحسن والمنتسبين إليه ص 22.
(10) تاريخ بغداد (347/11).

الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم. قال الفقيه أبو بكر الصيرفي، كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم وعن ابن الباقلاني قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري [1]، وذكر الذهبي عنه أيضاً: ولأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، ويقول: رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين، ولا تؤول[2].

وقال عنه القاضي عياض: وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته وقدم كلامه وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط، والميزان، والشفاعة، والحوض وفتنة القبر التي نفته المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة العقلية، ودفع شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة، وصنف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة[3]، وأما ابن عساكر فقد أفرد كتاباً في الدفاع عنه، ومدحه كثيراً، وجعله من المجددين، وذكر الروايات الواردة في مدح قومه وأسرته [4] وكذلك السبكي في طبقات الشافعية، وكان مما قال فيه: شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، سعياً يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر، وتقي برّ، حمى جناب الشرع من الحديث المفترى، وقام في نصرة الإسلام فنصرها نصراً مؤزراً[5]. وغيرهم من العلماء الذين مدحوه وأثنوا على ما قام به من نصر السنة والرد على المبتدعة من المعتزلة وغيرهم [6].

ثانياً: المراحل التي مّر بها:

مرَّ أبو الحسن الأشعري بأطوار ثلاثة في حياته الاعتقادية.

الطور الأول: تكاد أن تجمع كل المصادر التي ترجمت للأشعري على أنه عاش طوره الأول في ظل المعتزلة والاعتزال وأنه بقي فيه ملازماً شيخه وزوج أمه الجبائي حتى بلغ أربعين سنة من عمره [7].

الطور الثاني: بعد خروجه على المعتزلة، سلك طريق عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري [8]، وبدأ يرد على المعتزلة معتمداً على القوانين والقضايا التي قالها عبد الله بن كلاب [1]، يقول ابن

(1) سير أعلام النبلاء (86/15).
(2) المصدر نفسه (86/15).
(3) ترتيب المدارك (24/5).
(4) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (339/1).
(5) طبقات السبكي (347/3).
(6) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (340/1).
(7) شعبة العقيدة بين أبي الحسن والمنتسبين إليه ص 39.
(8) سير أعلام النبلاء (174/11).

تيمية رحمه الله: وكان أبو الحسن الأشعري لما رجع من الاعتزال سلك طريق أبـي محمد بن كلاب [2]، وهذا الطور يمثله كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع[3] وكان ابن كلاب يرد على المعتزلة والجهمية ومن تبعهم بطريقة يميل فيها إلى مذهب أهل السنة والحديث، ولكن لما كثر جداله معهم ورده عليهم ومناظرته لهم بالطرق القياسية، سلَّمَ لهم أصولاً هم واضعوها، فمن هنا دخلت البدعة في طريقته [4]، وكان ابن كلاب قد أحدث مذهباً جديداً، فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية [5].

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين: فأهل السنة والجماعة يُثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤوها ويقدر عليها، والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا، فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به، ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها [6]، ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري[7]، وهذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب دفع الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السلف إلى أن يحذروا منه ومن أتباعه الكلابية [8]، وهذه الطريقة التي أحدثها ابن كلاب البصري لم يسبقه إليها غيره، ووافقه عليها الأشعري وردَّ من خلالها على الجهمية والمعتزلة [9].

الطور الثالث: مكث الأشعري زمناً على طريقة ابن كلاب يرد على المعتزلة وغيرهم من خلال ما اعتقده في هذه الطريقة ولكن الله تعالى مَنَّ عليه بالحق فنوَّر بصيرته وذلك بالرجوع التام إلى مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم، واتباع منهجهم وملكهم وكان هذا الذي أراد أن يلقى الله تعالى عليه متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلى طريقة السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهذا الطور - نظراً لأهميته في المجال الاعتقادي - فقد أثبتناه له بعد توفيق الله بثلاثة وجوه: [10]

الوجه الأول: أقوال العلماء: لقد شهد كثير من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما استقر عليه ومن هؤلاء العلماء [11].

(1) شعبة العقيدة بين أبي الحسن والمنتسبين إليه ص 42.
(2) الفتاوى (556/5) (103/3).
(3) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص 42.
(4) المصدر نفس نفسه ص 43.
(5) المصدر نفسه ص 44.
(6) الفتاوى (131/13 - 154).
(7) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (4/2 - 5) على هامش منهاج السنة.
(8) مجموع الفتاوى (368/12).
(9) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري ص 45.
(10) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص 47.
(11) المصدر نفسه ص 47.

- شيخ الإسلام ابن تيمية [1].
- تلميذه الحافظ ابن القيم [2].
- الحافظ ابن كثير، وقد قال رحمه الله: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبع: وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وتأويل الخبرية، كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

الحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً [3].

- الشيخ نعمان الآلوسي [4].
- الشيخ أبو المعالي محمود الآلوسي [5].
- العلامة محب الدين الخطيب. وقال رحمه الله في بيان أطوار الأشعري ورجوعه التام إلى مذهب السلف: أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل من كبار أئمة الكلام في الإسلام، نشأ أول أمره على الاعتزال، وتتلمذ فيه على الجبائي. ثم أيقظ الله بصيرته وهو في منتصف عمره وبداية نضجه، فأعلن رجوعه عن ضلالة الاعتزال، ومضى في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويُلقي الدروس في الرد على المعتزلة، سالكاً طريقاً وسطاً بين طريقة الجدل والتأويل، وطريقة السلف، ثم محض طريقته وأخلصها لله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف في إثبات كل ما ثبت بالنص من أمور الغيب التي أوجب الله على عباده إخلاص الإيمان بها. وكتب بذلك كتبه الأخيرة ومنها في أيدي الناس كتاب " الإبانة" وقد نص مترجموه على إنها آخر كتبه، وهذا ما أراد أن يلقى الله عليه، وكل ما خالف ذلك مما ينُسب إليه، أو صارت تقول به الأشعرية، فإن الأشعري رجع عنه إلى ما في كتاب الإبانة وأمثاله[6].

الوجه الثاني: التقاؤه الحافظ زكريا الساجي: بعد خروجه من الاعتزال ومن التخلص من طريقة ابن كلاب لجأ إلى الأئمة من أهل الحديث ممن عُرفوا بسلامة عقيدتهم وصفاء منهجهم ليأخذ منهم مقالة السلف وأصحاب الحديث، ومن أشهرهم: الحافظ الثبت محدث البصرة زكريا الساجي [7]، يقول ابن تيمية عن الأشعري: وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد

(1) الفتاوي (53/6).
(2) اجتماع الجيوش الإسلامية ص 112.
(3) إتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي ص 48.
(4) جلاء العينين ص 213.
(5) غاية الأماني في الرد على النبهاني (408/2).
(6) انظر المنتقى للذهبي تعليق محب الدين رقم 3 ص 41.
(7) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص 49.

أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى، وذلك آخر أمره، كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم [1]، وقال الذهبي عندما ترجم للحافظ الساجي: وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الأصولي تحرير مقالة أهل الحديث والسلف [2]، وقال في مكان آخر عن الساجي: أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف [3]، ومن الذين أثبتوا للأشعري هذا اللقاء مع المحدث الحافظ زكريا الساجي، وجعلوه نقطة تحول كبيرة عند الأشعري [4]: الإمامان: ابن قيم الجوزية [5] وابن كثير [6]، وغيرهما [7].

الوجه الثالث: تأليفه كتاب الإبانة وإثباته له: إن آخر الكتب التي ألفها الأشعري رحمه الله هو كتاب الإبانة وقد ذكر في هذا الكتاب انتسابه للإمام أحمد رحمه الله، والتزامه بعقيدة السلف الصالح، واتباع أئمة الحديث، وذكر بعد هذا عقيدة السلف الصالح في أمور الدين، ولقد أثبت هذا الكتاب للأشعري جمع كثير من الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين[8].

وأقرب العلماء زمناً بزمن الأشعري هو ابن النديم ت 385هـ فقد ذكر في كتابه الفهرست ترجمة للأشعري وذكر جملة من كتبه التي ألفها، ومنها كتاب " التبيين عن أصول الدين " وجاء بعده ابن عساكر وانتصر للأشعري، وأثبت له كتاب " الإبانة " ونقل منها كثيراً في كتابه " التبيين " للإشادة بحسن عقيدة الأشعري قال ابن عساكر عن الأشعري: وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، بالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومن وقف على كتابه المسمى "الإبانة" عرف موضوعه من العلم والديانة [9].

ثم جاء ابن ورباس ت 659هـ، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري وأثبت له كتاب الإبانة. وقال: أما بعد.. فاعلموا معشر الإخوان - وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم - بأن كتاب " الإبانة عن أصول الديانة " الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله - سبحانه وتعالى - بعد رجوعه عن الاعتزال لِمن الله ولطفه، وكل مقالة تنُسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلى الله - سبحانه - منها، كيف وقد نصَّ فيه على أنه ديانته التي يُدين الله سبحانه بها. وروى وأثبت ديانة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسول، فهل يسوغ أن يُقال: إنه رجع إلى غيره؟ فإلى ماذا يرجع، تراه

(1) الفتاوى (288/3).
(2) تذكرة الحافظ الذهبي (709/2).
(3) سيرة أعلام النبلاء (198/14).
(4) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه 50.
(5) اجتماع الجيوش الإسلامية ص 97.
(6) البداية والنهاية (131/11).
(7) شعبة العقيدة بني أبي الحسن الأشعري ص 50.
(8) كتب الشيخ حماد الأنصاري رسالة أثبت فيها رجوع الأشعري إلى مذهب السلف.
(9) تبيين كذب المفترى ص 28.

يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله، خلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون، وأئمة الحديث الماضين، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم. هذا لعمري مالا يليق نسبته إلى عوام المسلمين كيف بأئمة الدين وقد ذكر هذا الكتاب، واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن رحمه الله وأثنى عليه بما ذكره فيه، وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منه إلى تصنيفه جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام، وأئمة القراء وحفاظ الحديث وغيرهم [1] ثم ذكر - رحمه الله - جماعة من هؤلاء الأئمة الذين أثبتوا كتاب "الإبانة " للأشعري ومنهم:

إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفاسي ت 446هـ.

الحافظ أبو عثمان الصابوني "ت 449هـ ".

الفقيه الحافظ أبو بكر البيهقي " ت 458هـ ".

الإمام الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي ت 490هـ.

الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه ت 550هـ [2].

وهناك جمع كثير من العلماء ممن أثبت كتاب " الإبانة ". للأشعري، غير الذين ذكرهم ابن درباس ومنهم.

- الإمام ابن تيمية رحمه الله ت 728هـ.
- الحافظ الذهبي ت 748هـ وقال: وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه ونسخه بخطة الإمام محيى الدين النووي [3].
- الإمام ابن قيم الجوزية ت 571هـ.
- الحافظ ابن كثير ت 774هـ.
- العلامة ابن فرحون المالكي ت 799هـ [4]. وهناك جمع كثير لا يُحصى عددهم من العلماء والأئمة من الذين أثبتوا كتاب الإبانة للأشعري وأنه آخر ما صنف [5].

وقد ذكر المؤرخون مجموعة من الأسباب في سبب رجوع أبي الحسن إلى مذهب أهل السنة وترك الاعتزال وأهمها رحمة الله به وهدايته له.

ثالثاً: سر عظمة الأشعري في التاريخ:

نهض أبو الحسن الأشعري بعد هذا التحول العظيم، يدعو إلى عقيدة أهل السنة، ويدافع عنها في حماسة وإيمان، ويرد على المعتزلة ويتَّبعهم في مجالسهم ومراكزهم يحاول إقناعهم بما اقتنع به

(1) رسالة الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس ص 107.
(2) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين إليه ص 52.
(3) مختصر العلو ص 239.
(4) الديباج المذهب ص 195.
(5) شعبة العقيدة بين أبي الحسن الأشعري ص 53.

أخيراً من عقائد أهل السنة، ومذاهب السلف، وكان نشاطه في ذلك أعظم من نشاطه في السابق، وكان يقصدهم بنفسه يناظرهم، فكُلِّم في ذلك فقال وقيل له: كيف تُخالط أهل البدع وتقصُدهم بنفسك وقد أمرت بهجرهم؟ فقال: هم أولو رياسة، منهم الوالي والقاضي، ولرياستهم لا ينزلون إليَّ، فإذا كانوا هم لا ينزلون ولا أسير أنا إليهم، فكيف يظهر الحق، ويعلمون أن لأهل السنة ناصراً بالحجة [1]؟ وهذا الجهود العظيمة والمثابرة الصابرة في مناصرة مذهب أهل السنة تستحق الثناء والتقدير.

وكان أبو الحسن الأشعري مستواه العقلي أعلا من مستوى معاصريه وأقرانه، وكان صاحب نبوغ وابتكار في العقليات وكان يرد على حُجج المعتزلة وعقائدهم في سهولة وينقُضها بمقدرة وثقة، كما يرد الأستاذ الكبير على شُبَه تلاميذه، ويحل مشاكلهم، وقد كان أبو الحسن الأشعري إماماً مجتهداً في علم الكلام، وأحد مؤسسيه وقد خضع كلُّ من جاء بعده من المتكلمين لعبقريته، وعمق كلامه، ودقة نظره وإصابة فكره [2].

1- أبو الحسن الأشعري يشرح عقيدته التي يدين بها: فيقول: وقولنا الذي نقول به، وديانتنا التي نَدين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا عليه السلام، وما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشَكَ الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مُقَدَّم، وخليل معظم مضَّخم. ولم تقتصر خدمة الأشعري على تأييد عقائد أهل السنة والسلف تأييداً إجمالياً، فقد كان الحنابلة والمحدثون قائمين به غير مقصِّرين فيه.

إن عبقريته تتجلى في أنه أقام البراهين والدلائل العقلية والكلامية على هذه العقائد، وناقش المعتزلة والمتفلسفة عقيدة عقيدة، وذلك كله في لغة يفهمونها، وأسلوب يألفونه ويُجلونه وبذلك أثبت أن هذا الدين وعقيدته الواضحة مؤيَّدان بالعقل، وأن العقل الصحيح يؤيد الدين الصريح، ولا صراع بينهما [3] ولا تناقض.

2- مصدر العقيدة عند أبي الحسن الأشعري: كان الأشعري مؤمناً بأن مصدر العقيدة والمسائل التي تتصل بالإلهيات وما وراء الطبيعية هو الكتاب والسنة، وما جاء به الأنبياء وليس العقل المجرد والمقياس والميتافيزيقا اليونانية، ولكنه لم يكن يرى السكوت والإعراض عن المباحث التي حدثت بتطورات الزمان، واختلاط هذه الأمة بالأمم والديانات والفلسفات الأجنبية، حتى تكونت على أساسها فرق ونحل، وكان يرى أن السكوت عن هذه المباحث يضُر بالإسلام، يُفقد مهابة السنة ويحمل على ذلك ضعف السنة العلمي والعقلي، وعجز علماء الدين وممثليه عن مواجهة هذه التيارات ومقاومة هذه الهجمات، ويهَتبلهُ أهل الفرق الضالة، فينفذون في أهل السنة والعقيدة

(1) تبين كذب المفتى ص 116.
(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (143/1، 144).
(3) رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

الصحيحة، فينفُثون سمومَهم فيهم، ويزرعون الشكوك، ويستميلون شبابهم الذكي المثقف إلى أنفسهم، وكان الأشعري مؤمناً بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية، والطريق إلى معرفته هو الكتاب والسنة وما ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مُفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاهاً معارضاً لاتجاه المعتزلة، ولكنه رغم ذلك يعتقد مخلصاً أن الدفاع عن هذه العقيدة السليمة، وغَرسها في قلب الجيل الإسلامي الجديد، يحتاج إلى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على أسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك، بل يَعدُّه أفضل الجهاد وأعظم القربان في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق بينه وبين - بعض - من الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتأثمون ويتحرجون من النزول إلى هذا المستوى [1].

3- العلاقة بين العقليَّات والحسيَّات والعقيدة والديانات: كان يعتقد أن المباحث التي تتصل بالعقليات والِحسيَّات لا صلة لها في الحقيقة بالعقيدة والديانات، ولكنَّ المعتزلة والفلاسفة مزجوا البحث في العقيدة والبحث فيها، بل جعلوها بذلاقة لسانهم وذكائهم مقدمات للبحث في الدين، بل فارقاً بين الحق والباطل، وكان الأشعري يعتقد أن الفرار من البحث فيها بحجة أنها لا تتصل بالدين والعقيدة لا يصُّح، بل بالعكس من ذلك، يجب على من قام لنُصرة السنة أن يواجههم فيها ويثبت مذهب أهل الحق، وكان يعتقد أن النبي ρ وأصحابه لم يسكتوا عن هذه المسائل جهلاً، بل لأن هذه المسائل ما نشأت في عصرهم، ولم تمسَّ الحاجة إلى البحث فيها شأن الفقه والجزئيات الكثيرة التي حدثت بعد عصرهم فتأمل فيها الفقهاء والمجتهدون، وأبدوا رأيهم فيها، واستنبطوا وفرَّعوا وحلوا المشاكل الجديدة، وبذلك عصموا الأمة والجيل الجديد عن الإلحاد الفوضى في العمل والتعطل، كذلك يجب على حراس الشريعة، ومتكلمي أهل السنة، أن يُواجهوا الأسئلة الجديدة التي أثارها المعتزلة والمتفلسفة في موضوع الإلهيات، ويُجيبوا عن الاعتراضات والمطاعن التي يوُجهها إلى أهل السنة ومُطابقتها للعقل والمنطق، وقد ألف في هذا الموضوع رسالة أسماها: استحسان الخوض في الكلام، وقد سار الأشعري في طريقه مجاهداً، ومناضلاً، منتجاً، معرضاً عن سخط - المعارضين - لا يعبأ بما يقال فيه مؤمناً بأنه هو الذي ينفع الدين في عصره ويرد إلى الشريعة الإسلامية مهابتها وكرامتها ويحرس للناشئة دينها وعقيدتها، حتى استطاع بعمله المتواصل، وشخصَّيته القوية وعقله الكبير، وإخلاصه النادر، أن يردَّ سيل الاعتزال والتفلسف الجارف الذي كان يتهدد الدين، ويثبت كثيراً من الذين تزلزلت أقدامهم، واضطربت عقولهم وعقيدتهم، وأن يوُجد في أهل السنة ثقة جديدة بعقيدتهم، نشاطاً جديداً في دعوتهم وزالت سطوة المعتزلة على العقول والأفكار، واشتغلوا بالدفاع عن الهجوم وتعرضت حركة الاعتزال ودعوتها للخطر، وقد خمدوا وانطفؤوا بمعارضة أمام كبير، كأبي الحسن الأشعري [2].

4- اجتماع أهل السنة على المعتزلة وأهل البدع: دخل أهل السنة والجماعة في صراع جدلي عنيف في القرنين الثاني والثالث مع المخالفين الذين شذوا عن منهج الحق، وقد اشتهر أهل

(1) رجال الفكر والدعوة (148/1).

(2) رجال الفكر والدعوة (149/1).

السنة آنذاك بالانتساب إلى الحديث النبوي، فكانوا يسمُّون " أهل الحديث " ولما برز الإمام أحمد بن حنبل في الدفاع عن السنة نُسب أهل السنة إليه فكانوا يسمَّون "الحنابلة" وقد ظلت المعارك الجدلية قائمة بين علماء السنة ومخالفيهم من المعتزلة والجهمية وتقوى علماء السنة بانضمام أبي الحسن الأشعري إليهم وكان دفاعه عن الكتاب والسنة وردُّه القوي على المعتزلة والجهمية سبب في مكانته المرموقة عند أهل الحديث وقد سُميَّ أتباع أبو الحسن الأشعري بالأشاعرة وظل الوئام بين أهل الحديث وبين الأشاعرة، وأصبحوا جميعاً ضد المعتزلة ونحوهم [1]وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية: والأشعرية فيما يثبتونه من السنة فرع على الحنبلية، كما أن متكلمة الحنبلية فيما يحتجون من القياس العقلي - فرع عليهم، وإنما وقعت الفرقة بسبب فتنة القشيري [2]، وكان من أكبر المنظرين لطريقة أبي الحسن الأشعري فيمن بعده أبو بكر الباقلاني، الإمام العلامة، أوحد المتكلمين، مقدَّم الأصوليين، القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني، صاحب التصانيف وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه [3]، وكان ثقة إماماً بارعاً، صنّف في الرَّدَّ على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمَّية والكرَّامية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه [4].

وقد ذكره القاضي عياض في طبقات المالكية، فقال: هو الملقب بسيف السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة [5]، وقد سار القاضي رسولاً عن أمير المؤمنين إلى طاغية الروم، وجرت له أمور، منها أن الملك أدخله عليه من باب خوخة ليدخل راكعاً للملك ففطِن لها القاضي ودخل بظهره[6]، ومنها أنه قال لراهبهم: كيف الأهل والأولاد فقال الملك: مه: أما علمت أنّ الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال: تُتزَّهونه عن هذا ولا تُنزَّهون ربَّ العالمين عن الصاحبة والولد [7]، وقيل: إنّ الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبَّيكم - يقصد توبيخاً - فقال: كما جرى لمريم بنت عمران، وبرَّأهما الله، لكنَّ عائشة لم تأت بولد، فأفحمه [8]، وكان الحافظ الدارقطنى يحترمه ويقدره، فعن أبي ذر الهروي قال: إني كنت ماشياً ببغداد مع الحافظ الدراقطني، فلقينا أبا بكر بن الطيب فالتزمه الشيخ أبو الحسن وقبَّل وجهه وعينيه، فلما فارقناه، قلت له: من هذا الذي صنعت به ما لم اعتقد أنَّك تصنعه وأنت إمام وقتك؟ فقال: هذا إمام المسلمين، والذَّاب عن الدَّين هذا القاضي أبو بكر محمد بن الطيب [9]. قال الذهبي هو الذي كان ببغداد يناظر عن السنة وطريقة الحديث بالجدل والبرهان وبالحضرة

(1) الرسائل الشمولية د. عبد العزيز الحميدي ص 64.
(2) مجموع الفتاوى (53/6) والقشيري هو أبو نصر عبد الرحيم.
(3) سير أعلام النبلاء (190/17).
(4) المصدر نفسه (190/17).
(5) المصدر نفسه (191/17).
(6) المصدر نفسه (191/17).
(7) المصدر نفسه (192/17).
(8) المصدر نفسه (192/17).
(9) سير أعلام النبلاء (558/17).

رؤوس المعتزلة والرافضة والقدريَّة وألون البدع، ولهم دولة وظهور بالدولة البويهية، وكان يُردُّ على الكرّامية، وينصر الحنابلة عليهم، وبينه وبين أهل الحديث عامِرٌ، وإن كانوا قد يختلفون في مسائل دقيقة فلهذا عامله الدارقطني بالاحترام، وقد ألف كتاباً سمَّاه الإبانة، يقول فيه: فإن قيل، فما الدليل على أن لله وجهاً ويداً؟ قال: قوله{**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**} [الرحمن: 27] وقوله:{**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**} [ص: 75] فأثبت تعالى لنفسه وجهاً ويداً. إلى أن قال: فإن قيل: فهل تقولون: إنَّه في كل مكان؟ قيل: معاذ الله، بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه. إلى أن قال: وصفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة والوجه واليدان والعينان والغضب والرضا. فهذا نصّ كلامه [1]. وقال نحوه في كتاب " التمهيد " له وفي كتاب " الذَّبَّ عن الأشعريَّ ". وقال: قد بَيَّنَّا دين الأمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير [2]. قال الذهبي: فهذا المنهج هو طريقة السلف، وهو الذي أوضحه أبو الحسن وأصحابه، وهو التسليم لنصوص الكتاب والسُّنَّة، وبه قال ابن الباقلاني وابن فورك، والكبار إلى زمن أبي المعالي، ثم زمن الشيخ أبي حامد - يقصد الغزالي - فوقع اختلاف وألوان نسأل الله العفو[3].

ومن الدروس المستفادة معاملة الدارقطبي للباقلاني، وأهمية وجود الأذكياء المناظرين لمنهج أهل السنة المستوعبين لشبهات وحجج المخالفين والذين يملكون القدرات الكافية عقلاً وفصاحة وتأليفاً وعلماً والنية الصادقة للدفاع عن دين الله تعالى وسنة رسوله ρ ولا يخلو عصر من أهل الضلال ولابد من وجود أهل الحق المدافعين عن عقيدة الأمة ولا بد من إعطاء من يقوم بهذا الدور من الاحترام والتقدير والمحبة والنصرة لكونهم على ثغر كبير يحتاج من يسده. وقد مات الإمام أبو بكر الباقلاني عام 403هـ وصلى عليه ابنه حسن وكانت جنازته مشهودة وكان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمشبهة وغالب قواعده على السُّنَّة، وقد أمر شيخ الحنابلة أبو الفضل التميميُّ منادياً يقول بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين والذَّاب عن الشريعة[4].

5- اتجاهات أهل السنة في بداية القرن الرابع: بعد ظهور أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي في بداية القرن الرابع صار أهل السنة على اتجاهين:

الأول: التمسك بظاهر النصوص الشرعية وذلك في إثبات معاني الصفات مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وقد سُميَّ هؤلاء أهل الحديث ثم غلب عليهم التسمية بالحنابلة.

والثاني: التمسك بظاهر النصوص في بعض الصفات مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين وتأويل بعضها الآخر لأنه في نظرهم يوهم التشبيه، وقد اشتهر بهذا المذهب الأشاعرة والماتريدية وكان هؤلاء مقبولين عند أهل الحديث من بداية القرن الرابع إلى ما بعد منتصف القرن

(1) سير أعلام النبلاء (559/17).
(2) سير أعلام النبلاء (559/17).
(3) المصدر نفسه (559/17).
(4) المصدر نفسه (193/17).

الخامس؛ لدفاعهم عن السنة ووقوفهم القوي ضد الجهمية والمعتزلة ولم يتجاوز الخلاف بينهم حدود الحوار العلمي مع التورع عن الاتهام في العقيدة والحكم بالضلال أو البدعة، وإنما كانوا يعتمدون على مبدأ الحكم بالخطأ على المخالف إذا كان من أهل الاجتهاد، إلى أن ظهر ابن القشيري وكان متعصباً لمذهبه إلى حد الغلو والتشدد، فحَّول الخلاف الدائر بين طائفتين أهل السنة إلى شقاق ونزاع [1].

ولخص ابن رجب هذه الفتنة بعد أن ذكر ما قام به الحنابلة من إنكار المنكرات عام أربعة وستين وأربعمائة: ومضمون ذلك أن أبا نصر القشيري ورد بغداد سنة تسع وستين وأربعمائة، وجلس في النظامية، وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم، وكان المتعصب له أبو سعد الصوفي، ومال إلى نصرة أبي إسحاق الشيرازي، وكتب إلى نظام الملك الوزير يشكو الحنابلة ويسأله المعونة، فاتفق جماعة من أتباعه على الهجوم على الشريف أبي جعفر في مسجده، والإيقاع به فرتب الشريف جماعة أعدهم لرد خصومة إن وقعت، فلما وصل أولئك إلى باب المسجد رماهم هؤلاء بالآجر فوقعت الفتنة، وقتل من أولئك رجل من العامة وجرح آخرون وأخذت ثياب، وأغلق أتباع ابن القشيري أبواب سوق مدرسة النظام وصاحوا: المستنصر بالله يا منصور - يعنون العبيدي الفاطمي صاحب مصر - وقصدوا بذلك التشنيع على الخليفة العباسي وأنه ممالئ للحنابلة، ولاسيما الشريف أبو جعفر ابن عمه[2]... إلخ وللأسف أن يصل بهؤلاء الخلاف حد إظهار الاستعانة بالباطني على الخليفة الشرعي. ومن ذلك الوقت كان الصراع العنيف يظهر على فترات من التاريخ وأصبح الحكم على المخالفين يتسم بالاتهام بالضلال والبدعة وبالكفر أحياناً.

وفي العصر الحديث بلغ الصراع العقدي أشده بين بعض علماء الطرفين وتبادل بعضهم الاتهامات بالضلال والبدعة، خصوصاً من طلاب العلم، والمنهج الحق أن تتسع صدور الفريقين للنقد الهادف وأن يكون هناك حوارات علمية تقوم على اعتبار قواعد الأخوة الإسلامية والأدب العلمي، مع استبعاد قضية البراءة من المخالفين ووصفهم بالابتداع والضلال فضلاً عن الفسق والكفر[3].

6- ميادين الصراع الفكري في العصر الحديث: إن هذا الصراع الفكري بين علماء المسلمين قد شغلهم عن ميادين المعركة الحقيقية مع المخالفين من الأعداء أو المنتسبين للإسلام وإن من أهم علامات نجاح الداعية أن يدرس واقع الجاهلية المعاصرة له بتمعن وتعمق مع فهم واقع المسلمين الفكري والسلوكي ثم يركز دعوته على محاربة المخالفات السائدة في عصره، فهذا يجاهد في ميدانه الحقيقي الحيوي [4]. هذا ومن أبرز الأمثلة على النجاح في هذا المجال دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه قد نجح نجاحاً باهراً، حيث قام بتشخيص المخالفات المعاصرة له، فقام

(1) الرسائل الشمولية ص 67.
(2) ذيل طبقة الحنابلة (19/1 - 21) الرسائل الشمولية ص 65.
(3) الرسائل الشمولية ص 67.
(4) المصدر نفسه ص 68.

بالرد على المخالفين بعلم راسخ وهدوء وروية أحياناً، وبشدة أحياناً أخرى حينما يقتضي المقام ذلك، فاستطاع أن يشد طلاب العلم إلى الكتاب والسنة وأن يقلص من الآثار الفكرية البعيدة عن هذا المنهج، ولكن ليس من الحكمة ولا من الدعوة أن نعيد المعارك العلمية التي خاضها ابن تيمية في هذا العصر؛ لأن لكل عصر مخالفات متميزة وصوراً للجاهلية تختص بكل عصر.

كذلك فإن من أبرز أمثلة هذا النجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإنه قد نجح في دعوته نجاحاً كبيراً، فهو قد قرأ كتب ابن تيمية واستفاد منها، ولكنه لم يسر على منهاجه، وإنما قام بتشخيص المخالفات المعاصرة له، ثم قام بتركيز دعوته على تصحيح المفاهيم الإسلامية حول تلك المظاهر، فنجده مثلاً في كتابه المتميز الذي يعتبر أهم كتبه وهو كتاب " التوحيد الذي هو حق الله على العبيد " يركز في جُلَّ أبوابه على تصحيح المفاهيم حول توحيد الألوهية، وذلك بعد دراسة المخالفات في ذلك في عصره وعلاجها في ضوء الكتاب والسنة، بينما لم يعقد للحكم بما أنزل الله إلا باباً واحداً، وذلك لأن المحيط الذي يعيش فيه لا يحتاج إلى ذلك، حيث إن الأحكام تقوم على المحاكم الشرعية، كما أننا نجده لم يعقد للأسماء والصفات إلا باباً واحداً، لأن المخالفات السائدة في محيطه ليست في هذا المجال، فكان ذلك من أسباب نجاحه في تصحيح المفاهيم السائدة في مجتمعه وإقامة دولة إسلامية كبيرة [1]، ولو أنه طبق منهج ابن تيمية بالكامل فشغل نفسه بالردود على المخالفين من أصحاب المناهج العقلية والباطنية وغلاة الصوفية ونحوهم لوافاه الأجل ولم يصنع شيئاً سوى إضافة كتب حول هذه الموضوعات إلى المكتبة الإسلامية [2].

وقد تغيرت الأوضاع في عصرنا الحاضر، فظهرت صور للجاهلية لم توجد من قبل كالمذاهب الفكرية المنبثقة من الشيوعية والحضارة الغربية وتضخم وجود بعض الصور التي كانت ضئيلة في الماضي كالحكم بغير ما أنزل الله تعالى وتوجيه السياسة على غير منهج الإسلام وحصر مفاهيم الإسلام في نطاق ضيق، وتضاءلت في بعض البلاد صور انحرافات كانت كبيرة في العصور الماضية، كعبادة الأموات والأشجار والأحجار، فليس المطلوب من الدعاة أن يركزوا على دراسة صور من الجاهليات القديمة، ولا أن يعيدوا دراسة المباحث الكلامية في مجالات النقد والردود على المخالفين بالمنهج نفسه الذي سار عليه المصلحون السابقون، وإنما لكل عصر دولة ورجال، والبراعة كل البراعة في دراسة الأوضاع المعاصرة دراسية دقيقة عميقة، ثم تسليط الأضواء عليها من خلال الكتاب والسنة، مع الاستفادة من اجتهادات أعلام الدعوة السابقين في دراستهم أوضاع مجتمعاتهم والقيام بالدعوة في تصحيح المفاهيم الخاطئة وتوجيه الأمة على هدى الإسلام الحنيف [3].

7- بعض مؤلفات أبي الحسن الأشعري: لم يقتصر أبو الحسن الأشعري على المناظرة والمعارضة، بل خلَّف مكتبة كثيرة من مؤلفاته في الدفاع عن السنة، وشرح العقيدة الحسنة وقد ألَّف تفسيراً للقرآن، أقل ما قيل في أجزائه أنه في ثلاثين مجلداً وقد ذكر بعض المؤلفين أن مؤلفاته تبلغ

(1) الرسائل الشمولية ص 69.
(2) المصدر نفسه ص 69.
(3) المصدر نفسه ص 70.

إلى ثلاثمائة مؤلف[1]، أكثرها في الرد على المعتزلة، وبعضها في الرد على مذاهب وفرق أخرى ومنها كتاب " الفصول " الذي رد فيه على الفلاسفة والطبيعيين، والدهرية، والبراهمة، واليهود، والنصاري، والمجوس، وهو كتاب كبير يحتوي على اثني عشر كتاباً، وقد ذكر ابن خلكان من مؤلفاته كتاب " اللمع " وإيضاح البرهان " والتبيين عن أصول الدين " و " الشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل ". وله - عدا العلوم العقلية والكلام - مؤلفات في علوم الشريعة منها: " كتاب القياس " " كتاب الاجتهاد " و " خبر الواحد " وكتاب في الرد على ابن الراونديَّ في إنكاره للتواتر، وقد ذكر في كتابه " العمد " مؤلفاته التي فرغ منها سنة 320هـ يعنى قبل وفاته بأربع سنوات، وهي ثمان وستون مؤلفاً، وكثير منها يقع في عشرة مجلدات أو أكثر، وقد أَلَّف في آخر حياته كتباً كثيرة ويدل كتابه " مقالات الإسلاميين " على أنه لم يكن متكلماً، فحسب، بل كان مؤرّخاً أميناً لعلم العقائد، وقد اعترف بدقته وأمانته وتحرَّيه للصدق في النقل المستشرقون [2]، وكتب الفرق والديانات تدلُّ على أمانته ودقته في النقل [3].

8- اجتهاده في العبادة: لم يكن أبو الحسن الأشعري رجل علم وعقل وبحث ونظر فحسب، بل كان - مع وصوله إلى درجة الإمامة والاجتهاد في العلم والعقل - مجتهداً في العبادات متحلياً بالأخلاق الفاضلة، وذلك ما يمتاز به العلماء الأقدمون؛ فإن اشتغالهم بالعلم لم يكن مانعاً عن الاجتهاد في العبادات والحرص على الطاعات وكانوا يجمعون بين الدراسة والإفادة والعبادة والزهادة.

قال أحمد بن علي الفقيه: خدمت الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين، وعاشرته ببغداد إلى أن توفي رحمه الله فلم أجد أورعَ منه، وأغضَّ طرفاً، ولم أر شيخاً أكثر حياءً منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة [4] ويحكي أبو الحسين السَّروي من عبادته في الليل واشتغاله، ما يدل على حرصه وقوته في العبادة [5]، قال ابن خلكان: وكان يأكل من غَلِةِ صنيعة وقفها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى على عَقِبِه، وكانت نفقته في كل يوم سبعة عشر درهماً، هكذا قال له الخطيب [6].

رابعاً: عقيدة أبي الحسن الأشعري التي مات عليها:

قال أبو الحسن الأشعري هذه حكاية جملة ما عليه أهل الحديث والسنة:

1- الإقرار بالله، وملائكته، ورسله، وأن محمداً عبد الله ورسوله.
2- أن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.
3- أن الله - سبحانه وتعالى - على عرشه كما قال{**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**} [طه: 5].
4- أن لله يدين بلا كيف كما قال:{**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**} [طه: 75].

(1) تبيين كذب المفتري ص 136.
(2) رجال الفكر والدعوة (150/1).
(3) المصدر نفسه (150/1).
(4) تبيين كذب المفتري ص 141.
(5) رجال الفكر والدعوة (151/1).
(6) وفيات الأعيان (412/1).

5- أن لله عينين بلا كيف كما قال{**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**} [القمر: 14].

6- أن لله وجهاً كما قال:{**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**} [الرحمن الآية: 27].

7- وأن أسماء الله لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

8- وأقروا أن الله سبحانه عالماً كما قال:{**أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**} [النساء: 166] وقال:{**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ**} [فاطر: 11].

9- أثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المتعزلة.

10- أثبتوا لله القوة كما قال:{**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**} [فصلت: 15].

11- وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله.

12- أن الأشياء تكون بمشيئة الله، كما قال عز وجل:{**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**} [التكوير: 29]. وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون.

13- قالوا: إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، أو يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله.

14- أقروا أنه لا خالق إلا الله وأن سيئات العباد يخلقها الله وأن أعمال العباد يخلقها الله عز وجل وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً.

15- يقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق.

16- الكلام في الوقف واللفظ، من قال باللفظ أو الوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق.

17- يقولون إن الله - سبحانه - يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال الله عز وجل:{**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ**} [المطففين: 15] وأن موسى - عليه السلام - سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا فأعلمه أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة.

18- لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنى والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر ومعهم بما هم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكباير.

19- الإيمان عندهم هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وما أصابهم لم يكن ليخطئهم.

20- الإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله على ما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان.

21- يقرون بأن الله سبحانه مقلب القلوب.

22- يقرون بشفاعة رسول الله ρ وأنها لأهل الكبائر أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض حق والصراط حق، والبعث بعد الموت حق.

23- المحاسبة من الله عز وجل للعباد حق، والوقوف بين يدي الله حق.

24- يقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق.

25- يقولون: أسماء الله هي الله.

26- لا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولايحكمون بالجنة لأحد من الموحدين، حتى يكون الله سبحانه ينزلهم حيث شاء ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله سبحانه يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله.

27- ينكرون الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة والآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ρ ولا يقولون: إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرضَ بالشر وإن كان مريداً له.

28- يقولون: إن الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرضَ بالشر وإن كان مريداً له.

29- يعرفون حق الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه ρ ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم.

30- يقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علياً رضوان الله عليهم.

31- ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي ρ.

32- ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ρ: إن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ كما جاء الحديث عن رسول الله.

33- يأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله عز وجل:{**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**} [النساء: 59].

34- يرون اتباع من سلف من أئمة الدين لا يبتدعون في دينهم ما لم يأذن به الله.

35- يقرون أن الله سبحانه يجيء يوم القيامة كما قال:{**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً**} [الفجر: 22].

36- أن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال:{**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ**} [ق: 16].

37- يرون العيد، والجماعة خلف كل إمام بر، وفاجر.

38- يثبتون المسح على الخفين سُنة ويرونه في الحضر والسفر.

39- يثبتون فرض الجهاد للمشركين منُذ بعث الله نبيه ρ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك.

40- يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وألاَّ يخرجوا عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة.

41- يصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم يقتله.

42- يؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام.

43- أن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم.

44- يصدقون بأن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال الله، وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

45- يرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة برهم، وفاجرهم وموارثتهم.

46- يقرون أن الجنة والنار مخلوقتان.

47- أن من مات مات بأجله وكذلك من قتل قتل بأجله.

48- أن الأرزاق من قبل الله سبحانه يرزقها عباده حلالاً كانت أم حراماً.

49- أن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه.

50- أن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله بآيات تظهر عليهم.

51- أن السنة لا تنسخ القرآن[1].

52- أن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد.

53- أن الله عالم ما العباد عاملون وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد الله.

54- يرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه وإخلاص العمل والنصيحة للمسلمين، ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة بجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنى وقول الزور والعصبية والفخر والكِبر والأزراء على الناس والعجب.

55- يرون مجانبة كل داع إلى بدعة.

56- يرون التشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع التواضع وحسن الخلق، وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة، والنميمة، والسعاية، وتفقد المأكل والمشرب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكر من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير[2].

(1) مسألة فيها خلاف يطول عند أهل السنة.

(2) اعتقاد أهل السنة أصحاب الحديث شرح جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرّره في مقالاته د. محمد عبد الرحمن الخميس ص 11 إلى 171 وقد قام الدكتور بشرح هذه الأصول.

هذه عقيدة الإمام الأشعري التي استقر عليها وصرح بها، وهي من الآثار التي تركها بعد وفاته وقد ساهمت بلا شك في توعية الأمة وتربيتها على أصول أهل السنة والجماعة سواء في المدارس النظامية في عهد السلاجقة أو في عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين، وإلى يومنا هذا ومن الإنصاف العلمي القول بأن المذهب الأشعري لم يستقر على ما مات عليه الإمام أبو الحسن الأشعري، بل حدث تطور في المذهب الأشعري بحيث إن أقوال الأشاعرة تعددت، واختلفت في مسائل عديدة، ومن أشهر الذين اجتهدوا وخالفوا أبا الحسن الأشعري، في بعض المسائل، أبو بكر الباقلاني وابن فورك وعبد القاهر البغدادي، والبيهقي والقشيري، والجويني والغزالي وغيرهم على درجات متفاوتة بينهم في ذلك، وقد قام الدكتور عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود بتتبع هذا التطور بنوع من التفصيل في كتابه القيم موقف ابن تيمية من الأشاعرة.

- **وفاته:** وكانت وفاته سنة 324هـ ودفن ببغداد في مشروع الزوايا [1]، ونودي على جنازته: اليوم مات ناصر السنة [2].

خامساً: جهود الأشاعرة في الدفاع عن الكتاب والسنة:

كان للأشاعرة جهود مشكورة في الدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله ρ وقد أشار إلى هذه الجهود ابن تيمية في كتبه حيث:

1- وصفهم بأنهم من أهل السنة في مقابل المعتزلة والرافضة: يقول ابن تيمية: وإن كان في كلامهم من الأدلة والصحيحة وموافقة السنة مالا يوجد في كلام عامة الطوائف، فإنهم أقرب طوائف أهل الكلام إلى السنة والجماعة والحديث، وهم يعدون من أهل السنة والجماعة عند النظر إلى مثل المعتزلة والرافضة وغيرهم، بل هم أهل السنة والجماعة في البلاد التي يكون أهل البدع فيها هم المعتزلة والرافضة ونحوهم [3]، ويلاحظ وصفه لهم بأنهم هم أهل السنة في البلاد التي يغلب فيها أهل البدعة من الرافضة والمعتزلة وهذا منتهى الإنصاف والاعتراف [4]. وذكر عنهم ابن تيمية بأنهم من المتكلمين: المنتسبين إلى السنة [5]. ويصنفهم مع بقية أهل السنة [6].

2- ردودهم على الباطنية والملاحدة وغيرهم: فالباطنية لما استفحل أمرهم كان لهم علماء أهل السنة بالمرصاد ومن أبرز علماء السنة الذين فضحوهم علماء الأشاعرة [7]، يقول ابن تيمية: وكانت الرافضة والقرامطة - علماؤها وأمراؤها - قد استظهرت في أوائل الدولة السلجوقية، حتى غلبت على الشام والعراق، وأخرجت للخليفة القائم ببغداد إلى تكريت وجسوه بها في فتنة البساسيري

(1) وفيات الأعيان (412/1).
(2) رجال الفكر والدعوة (151/1).
(3) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (703/2).
(4) المصدر نفسه (703/2).
(5) الجواب الصحيح (252/1).
(6) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (703/2).
(7) المصدر نفسه (705/2).

المشهورة فجاءت بعد ذلك السلجوقية حتى هزموهم وفتحوا الشام والعراق وقهروهم بخراسان وحجروهم بمصر، وكان في وقتهم من الوزراء مثل " نظام الملك "، ومن العلماء مثل أبي المعالي الجويني، فصاروا بما يقيمونه من السنة ويردونه من بدعة هؤلاء ونحوهم لهم من المكانة عند الأمة بحسب ذلك، وكذلك المتأخرون من أصحاب مالك الذين وافقوه كأبي الوليد الباجي، والقاضي أبي بكر بن العربي ونحوهما لا يعظمون إلا بموافقة السنة، والحديث [1]، والوزير نظام الملك هو صاحبنا الذي تحدثنا عنه فيما مضى ويعتبر من أبرز من نصر مذهب الأشعري من خلال المدارس النظامية التي أنشاها في أنحاء متفرقة من العراق وخراسان، وهو يذكر فضله فيما قام به من دعم للسلاجقة السنة في مقابل البويهيين الشيعة[2]. والدولة الفاطمية العبيدية ودعاتها.

3- دفاعهم عن السنة وردودهم على أهل البدع: يقول ابن تيمية بعد كلام طويل عن الأشاعرة: ثم إنه ما من هؤلاء إلا له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف من أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء من المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخير الأمور أوساطها، وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين والله يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات{**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**}[3] [الحشر: 10].

وفي موضع آخر يذكر ما لهؤلاء من حسنات، فإنها إما موافقة لأهل السنة، أورد على أهل البدعة. [4] فيقول: ولم يتبع أحد مذهب الأشعري ونحوه إلا لأحد هذين الوصفين أو كليهما، وكل من أحبه وانتصر له من المسلمين وعلمائهم فإنه يحبه وينتصر له بذلك، فالمصنف في مناقبه، الدافع للطعن واللعن عنه - كالبيهقي والقشيري أبي القاسم، وابن عساكر الدمشقي - إنما يحتجون لذلك بما يقوله من أقوال أهل السنة والحديث، أو بما رد من أقوال مخالفيهم. لا يحتجون له عند الأمة وعلمائها وأمرائها إلا بهذين الوصفين، ولولا أنه كان من أقرب بني جنسه إلى ذلك لألحقوه بطبقته الذين لم يكونوا كشيخه الأول أبي علي، وولده أبي هاشم، لكن كان له من موافقة مذهب السنة والحديث في الصفات والقدر، والإمامة، والفضائل، والشفاعة، والخوض، والصراط والميزان، وله من الردود على المعتزلة والقدرية، والرافضة، والجهمية، وبيان تناقضهم ما أوجب أن يمتاز بذلك عن أولئك، ويعرف له حقه وقدره{**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**} [الطلاق: 3]. وبما وافق فيه السنة

(1) مجموع الفتاوى (18/4).
(2) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (705/2).
(3) المصدر نفسه (705/2) درء التعارض (102/2 - 103).
(4) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (708/2).

والحديث صار من القبول والاتباع ما صار، لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف وإظهار فساد قولـه هي من جنس المجاهد المنتصر، فالراد على أهل البدع مجاهد [1].

4- جهودهم في كسر سورة المعتزلـة والجهميـة: وللأشـاعرة جهـود فـي كسـر سـورة المعتزلة والجهمية، يقول ابن تيمية عن أعلامهم كابن مجاهد والباقلاني والأسفريينى وابن فورك: وصار هؤلاء يردون على المعتزلـة مـا رده عليهم ابن كلاب والقلانسي، والأشعري وغيرهم من مثبتة الصفات، فيبينون فساد قولهم بأن القرآن مخلوق وغير ذلك، وكان في هذا من كسر سورة المعتزلة والجهمية ما فيه ظهور شعار السنة، وهو القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، وإثبات الصفات والقدر وغير ذلك من أصول السنة[2].

وفي موضع آخر يذكر ما رده الأشعرية من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم، وبينوا من تناقضهم، وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة، فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ما انتفع به خلق كثير [3]، وكان ابن تيمية رحمه الله يرى أن لهم حسنات وفضائل وسعياً مشكوراً: وخطؤهم بعد الاجتهاد مغفور [4].

5- إنصاف ابن تيميـة لأعلام الأشـاعرة يـرحمهم الله جميعـاً: أنصف ابن تيمية أعلام الأشاعرة، وعلى الرغم من مناقشاته الشديدة لهم إلا أنه ذكر ما عندهم من إيجابية ومالهم من جهود عظيمة في خدمة الإسلام والدفاع عنه، ويعتمد منهج ابن تيمية في ذلك على أمرين:

أحـدهما: أن القاعدة عنده التي يطبقها على الأشاعرة وغيرهم هي التفريق بين العقيدة المسيطرة في الكتب وبين أصحابها، فهو يحكم على ما هو مدون أو منقول من عقائد هؤلاء وأدلتهم ومناقشاتهم، ويبين ما في ذلك من خطأ أو صواب، فإذا ما وصل في الحديث إلى الشخص نفسه، صاحب العقيدة فإنه ينظر إليه نظرة أخرى مبنية على.

أنه قد يكون صادقاً في خدمته للإسلام، ولا يحمل غشاً لأهله؛ ولذلك فهو لا يتعمد الكذب والافتراء.

أنه مجتهد، وأن هذا الذي قاله هو مبلغ علمه، أو أنه كان مقلداً لغيره من هذه المسائل.

ما مات عليه هذا الظلم، فقد يكون ممن رجع وتاب، وصرح بذلك أو أنه في آخر عمره رضي مسلك أهل الحديث.

والثاني: أن لهؤلاء الأعلام - على أخطائهم - جهود لا تنكر في الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن العقيدة، والرد على أعدائها من الملاحدة والمتفلسفة والرافضة وغيرهم، وهي جهود تكون في

(1) مجموع الفتاوى (12/4 - 13).
(2) المصدر نفسه (557/5 - 558).
(3) المصدر نفسه (99/13).
(4) النبوات ص 220، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (709/2).

موازينهم يوم القيامة ولا يحرمون أجرها عند الله تعالى [1].

أ- موقف ابن تيمية من أبي الحسن الأشعري: دافع ابن تيمية عن شيوخ الأشاعرة - وعلى رأسهم ابن كلاب - وكثيراً ما يقرن الأشعري بابن كلاب والكلابية، فيقول مثلاً: لهذا كان المتكلمة الصفاتية كابن كلاب والأشعري وابن كرام خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المعتزلة، والمعتزلة خيراً وأصح طريقاً في العقليات والسمعيات من المتفلسفة، وإن كان في قول كل من هؤلاء ما ينكر عليه وما خالف فيه العقل والسمع، ولكن من كان أكثر صواباً وأقوم قيلا كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلاً وتفصيلاً[2].

وأما كلامه عن أبي الحسن الأشعري فقد دافع عنه وذكر أنه: ابتلى بطائفتين، طائفة تبغضه وطائفة تحبه، كل منهما يكذب عليه، ويقول: إنما صنف هذه الكتب تقية وإظهاراً لموافقة أهل الحديث والسنة من الحنبلية وغيرهم، وهذا كذب على الرجل فإنه لم يوجد له قول باطن يخالف الأقوال التي أظهرها ولا نقل أحد من خواص أصحابه ولا غيرهم عنه ما يناقض هذه الأقوال الموجودة في مصنفاته، فدعوى المدعي أنه كان يبطن خلاف ما يظهر دعوى مردودة شرعاً وعقلاً، بل من تدبر كلامه في هذا الباب - في مواضع تبين له قطعاً أنه كان ينصر ما أظهره ولكن الذين يحبونه ويخالفونه في إثبات الصفات الخبرية، يقصدون نفي ذلك عنه لئلا يقال: إنهم خالفوه، مع كون ما ذهبوا إليه من السنة قد اقتدوا فيه بحجته التي على ذكرها يعولون، وعليها يعتمدون، والفريق الآخر: دافعوا عنه لكونهم رأوا المنتسبين إليه لا يظهرون إلا خلاف هذا القول، ولكونهم اتهموه بالتقية، وليس كذلك، بل هو انتصر للمسائل المشهورة عند أهل السنة التي خالفهم فيها المعتزلة كمسألة الرؤية، والكلام، وإثبات الصفات، ونحو ذلك، لكن كانت خبرته بالكلام مفصلة، وخبرته بالسنة مجملة [3]، كما ذكر أن الأشعري كان ينتسب إلى الإمام أحمد، وإنه أقرب إليه من بعض الحنابلة، يقول: وكان الأشعري أقرب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وصدقة بن الحسين، وابن الجوزي وغيرهم [4].

ويقول: والأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد - رحمه الله - ونحوه المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه.. (ثم يقول) وأما الأشعري فهو أقرب إلى أصول أحمد من ابن عقيل وأتبع لها، فإنه كلما عهد الإنسان بالسلف أقرب كان أعلم بالمعقول والمنقول.. ويقول: ولما أظهرت كلام الأشعري - ورآه الحنابلة - قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق... " [5]. ويذكر أيضاً أن الأشعري أخذ مذهب أهل الحديث والسنة من شيخه المشهور زكريا

(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (710/5).
(2) شرح الأصفهانية ص 55.
(3) مجموع الفتاوى (204/12).
(4) در التعارض (270/1) شرح الأصفهانية ص 78.
(5) مجموع الفتاوى (227/3 - 226).

بن يحيى الساجي [1]، كما ذكر ما تميز به الأشعري من حرص على نصرة مذهب أهل الحديث يقولـه عنه: وهو دائماً ينصر في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم قول أهل الحديث [2]، وذكر أنـه بين طريقة السلف في أصول الدين، واستغنائها عن الطريقة الكلامية، كطريقة الإعراض ونحوها وإن القرآن نبه على الأدلة، ليس دلالته - كما يظنه بعض أهل الكلام - من جهة الخبر فقط، وأين هذا من أهل الكلام الذين يقولون: إن الكتاب والسنة لا يدلان على أصول الدين بحال، وإن أصول الدين تستفاد بقياس العقل المعلوم من غيرهما [3].

ويذكر ابن تيمية أن الأشعري من مثبتة الصفات الخبرية، ويرد على الذين يزعمون أن لـه فيها قولين: يقول: وأما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخيرية، وفي الرد على من يتأولها، كمن يقول: استوى بمعنى استولى، وهذا مذكور في كتبه كلها كالموجز الكبير والمقالات الصغيرة، والكبيرة، والإبانة... وغير ذلك، وهكذا نقل سائر الناس عنه، حتى المتأخرين كالرازي والآمدي، ينقلون عنه إثبات الصفات الخيرية، ولا يحكون عنه في ذلك قولين. فمن قال: إن الأشعري كان ينفيها، وإن لـه في تأويلها قولين فقد افترى عليهن، ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه، فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة [4]، كما دافع عن الأشعري فيما نسب إليه من أنه يقول: إن الله لم يكن قادراً على الفعل في الأزل. وبين ابن تيمية أن: من يبغض الأشعري ينسب إليه هذا لتنفر عنه قلوب الناس [5]، وكثيراً ما يشير ابن تيمية إلى أنه أقرب إلى السلف من كثير ممن أتى بعده [6]. وكثيراً ما ينقل من كتب الأشعري ويستشهد بأقواله[7].

ب- موقف ابن تيمية من الباقلاني: يرى ابن تيمية أن الباقلاني فحل الطائفة الأشعرية، ويقول عنه إنه: أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله، ولا قبله ولا بعده [8]، ويذكر عنه أنه: أكثر إثباتاً بعد الأشعري في الإبانة [9]، وقد امتدحه كثيراً في ردوده على الباطنية، ومواقفه العظيمة من النصارى [10].

ج- موقف ابن تيمية من الجويني: وأما الجويني فيدافع عنه على الرغم من كونه ممن مال إلى المعتزلة أكثر ممن سبقه من الأشاعرة، وبعد أن نقل عنه الأقوال في الكلام ونسبته إلى أهل السنة ما ليس من مذهبهم [11]، رد عليه ابن تيمية وقال: وأبو المعالي وأمثاله أجل من أن يتعمد

(1) مجموع الفتاوى (386/5).
(2) الإيمان ص 115 موقف ابن تيمية من الأشاعرة (713/2).
(3) الاستقامة (6/1).
(4) مجموع الفتاوى (203/12).
(5) درء التعارض (264/2).
(6) شرح الأصفهانية ص 77 - 78، درء التعارض (308/2).
(7) القاعدة المراكشية ص 67 - 71 درء التعارض (256/1 - 261).
(8) مجموع الفتاوى (98/5).
(9) مجموع الفتاوى (52/5).
(10) منهاج السنة (39/2).
(11) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (715/2).

الكذب، لكن القول المحكي قد سمع من قائل لم يضبطه، وقد يكون القائل نفسه لم يحرر قولهم [1]. ويحتج بأقواله ويصححها في معرض ردوده على الجهمية [2]، وابن رشد [3].

د- ثناء ابن تيمية على الغزالي: ومع أن ابن تيمية نقد الغزالي كثيراً وفي مناسبات مختلفة، ونقل ردود العلماء عليه، إلا أنه أنصفه ومدحه وذلك من خلال:

* **بيانه أن الغزالي لا يتعمد الكذب،** ولذلك لما نسب إلى الإمام أحمد أنه يقول بالتأويل رد عليه ابن تيمية بأنه: نقله عن المجهول لا يعرف وذلك المجهول أرسله إرسالاً عن أحمد، ولا يتنازع من يعرف أحمد وكلامه أن هذا كذب مفترى عليه، ونصوصه المنقولة عنه بنقل الثقاب الأثبات، التواتر عنه برد هذا الهذيان الذي نقله عنه، بل إذا كان أبو حامد ينقل عن رسول الله - ρ - وعن الصحابة والتابعين من الأكاذيب مالا يحصيه إلا الله، فكيف ما ينقله عن مثل أحمد. ثم يعقب ابن تيمية مدافعاً عن الغزالي: ولم يكن ممن يتعمد الكذب، فإنه كان أجل قدراً من ذلك، وكان من أعظم الناس ذكاءً، وطلباً للعلم وبحثاً عن الأمور، ولما قاله كان من أعظم الناس قصداً للحق، وله من الكلام الحسن المقبول أشياء عظيمة بليغة، ومن حسن التقسيم والترتيب ما هو به من أحسن المصنفين لكن كونه لم يصل إلى ما جاء به الرسول من الطرق الصحيحة كان ينقل ذلك بحسب ما بلغه لا سيما مع هذا الأصل، إذ جعل النبوات فرعاً على غيرها [4].

* **يعترف للغزالي بجهوده في ردوده على الفلاسفة:** ويمتدحه كثيراً في ذلك، ولما احتج الفلاسفة على نفي الصفات بالتركيب وما يلزم رد عليهم الغزالي ووافقه ابن تيمية فقال: ما ذكره أبو حامد مستقيم مبطل لقول الفلاسفة، وما ذكره ابن رشد إنما نشأ من جهة ما في اللفظ من الإجمال والاشتراك[5]. ثم قال مناقشاً ابن رشد: وهذه الطريق التي سلكها أبو حامد عن احتجاجهم بلفظ المركب جواب صحيح [6]، ويقول ابن تيمية عن ابن رشد: وقد رد على أبي حامد في تهافت التهافت رداً أخطأ في كثير منه، والصواب مع أبي حامد... وقد تكلمت على ذلك وبينت تحقيق ما قاله أبو حامد في ذلك من الصواب الموافق لأصول الإسلام، وخطأ ما خالفه من كلام ابن رشد وغيره من الفلاسفة، وإن ما قالوه من الحق الموافق للكتاب والسنة لا يرد، بل يقبل، وما قصر فيه أبو حامد من إفساد أقوالهم الفاسدة، فيمكن رده بطريق أخرى يعان بها أبو حامد على قصده الصحيح [7]، كما امتدح ابن تيمية ردود الغزالي على الفلاسفة في مسألة إثبات الصانع ونقل ما ذكره من الطعن في طريقة ابن سينا وأمثاله، ثم يقول ابن تيمية معقباً: وهذا الوجه الذي ذكره أبو حامد أحسن فيه، وكنت قد كتبت على توحيد الفلاسفة ونفيهم الصفات كلاماً بينت فيه فساد كلامهم في طريقة التركيب قبل أن

(1) درء التعارض (310/2).
(2) درء التعارض (186/5 - 190).
(3) المصدر (110/9 - 112).
(4) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (716/2).
(5) درء التعارض (402/3).
(6) المصدر نفسه (438/3).
(7) درء التعارض (252/3 - 253).

أقف على كلام أبي حامد، ثم رأيت أبا حامد قد تكلم بما يوافق ذلك الذي كتبته [1].

* ذكره لرجوعه في آخر عمره إلى الحديث وأنه مات وهو يشتغل بالبخاري ومسلم [2]، ويذكر أنه رجع: واستقر أمره على التلقي من طريقة أهل الحديث، بعد أن أيس من نيل مطلوبه من طريقة المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة أيضاً [3]. هذه بعض مواقف ابن تيمية الإيجابية من الأشاعرة وفيها من بيان الحق والإنصاف ما يشهد له بالأمانة، وكان رحمه الله يناقش الأشاعرة، ويبين لمن أخطأ منهم خطأه بعلم وإنصاف.

ومن الفائدة أن نقول إن كان تراث الإمام الشافعي وأبي الحسن الأشعري قامت على أسسه المدارس النظامية في العهد السلجوقي، فإن تراث ابن تيمية قامت عليه حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثرت به كثير من الحركات المعاصرة والعلماء وطلاب العلم والدعاة.

* * *

(1) المصدر نفسه (156/08)

(2) الصفدية (212/1)درء التعارض (162/1).

(3) درء التعارض (210/6) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (717/2).